المركز العربي للمعلومات

الاسبوع العربي
١٠ - ٦ - ١٩٩٦

الاعمال الاخيرة للفنان التشكيلي فريد عواد في «غاليري الوان»

صراع مع الرسم واللون بحثاً عن اشياء هاربة

تُعرض حالياً في «غاليري الوان» الكسليك - لبنان، مجموعة كبرى من الاعمال الاخيرة للفنان التشكيلي الراحل فريد عواد (١٩٢٤ - ١٩٨٢)، ويستمر المعرض لغاية ٢٢ الشهر الحالي. وقد استطاعت صاحبة «غاليري الوان» الفنانة اوديل مظلوم اندراوس ان تقيم هذا المعرض، بعدما قامت بالجهود المضنية من اجل جلب هذه الاعمال من باريس حيث كان فريد عواد يعيش منذ سنوات طويلة. وُلد الفنان في قرية الميدان قرب جزين - لبنان، وبين سنة ١٩٤٣ و١٩٤٧ درس في «الاكاديمية اللبنانية للفنون الجميلة» في بيروت، وسنة ١٩٤٧ نال منحة في «معهد الفنون الجميلة» في باريس، وبين ١٩٥٠ و١٩٥١ تدرَّب في مشاغل ادكون فريز واندريه لهُط. ومنذ سنة ١٩٥٢ بدا في عرض لوحاته في بيروت، وباريس، والمانيا.

بدأ هذا الفنان مسيرته التشكيلية في لبنان وأنهاها في باريس سنة ١٩٨٢ وهو في ذروة العطاء، كان يحمل في أعماقه هموم الغربة القاسية وهموم الفن الاصيل. وكانت فرشاته تعبّر بالألوان الداكنة والخطوط الانفعالية عن أعمق المشاعر الانسانية، وقد دفعته الغربة واقامته الطويلة في باريس، الى الالتحام بمعالم هذه المدينة النابضة بالحياة والزاخرة بالمتناقضات. في كل لوحة من لوحاته. يشعر المشاهد، ان هذا الفنان الذي كان يعيش في غربة، وفي عزلة، لم يكن بعيداً عما يدور من حوله، بل كان في قلب الحياة بكل ما فيها من حركة ونبض وانسانية مفعمة، لأنه انسان وكل ما يمتّ الى الانسانية بصلة ليس بغريب عنه.

من هنا، نراه يقول: «الحياة كانت دائماً تثير اهتمامي، لذا أحب رسم الحركة الانسانية». ومن هنا ايضاً، يقول بيار لومير: «اما حياته فهي مثال حياة الفنان الذي نذر نفسه لفنه بشكل كامل اعتماداً على موهبة نادرة. فهذا الحشد الكبير من الناس في باريس، في الشوارع والمقاهي ومحطات المترو، يشكل الموضوع الرئيسي على الدوام الذي شدّ انظاره وحرك عواطفه للتعبير عن ذلك كله بواسطة الرسم».

«ان اختيار الالوان بشكل ارادي وعلى درجة من الانتقاء المحدد، يعطي انطباعاً أولياً بالنزعة التشاؤمية والميل الى الحزن والتعاسة، تلطف منها البقع الصفراء او الفيروزية اللون التي تحيي نوعاً من الأمل».

وتقول نهاد سلامة: «... انه الرسام الذي كان يقتصر على قراءة خفاياه الخاصة باعتباره الابجدية الوحيدة التي كانت مستعصية على كل بريق

... فريد عواد يتفرّس ويراقب الغياب على ايقاع بطيء، حتى أكثر بطئاً من ريشته اما اصابعه فتنساب عبرها الألوان بشكل تدريجي وبقلق واضطراب، هذه الالوان التي هي في كل نتاجه تعبّر عن خصائص مميزة وعن مضمون كلّي، وعن التفوق والمهارة في تجسيد الاشكال، وابتكار المشاهد الجديدة.

... فريد عواد امضى حياته وجهاً لوجه مع اللوحة الفنية، فخضع له اللون مذ كان طفلاً في قرية الميدان...».

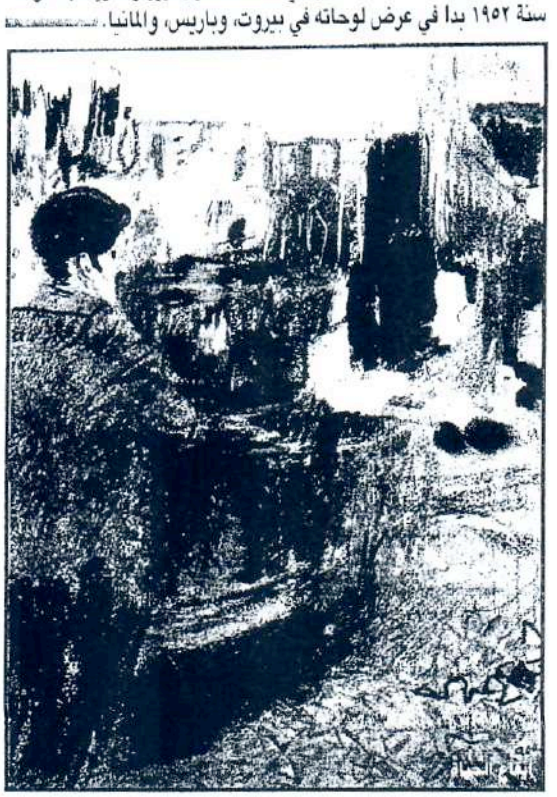

ليست هي المرة الاولى التي تعرض فيها «غاليري ألوان» نتاج فريد عواد، لقد سبق لها ان عرضت له في سنة ١٩٨٨، مجموعة من لوحاته التي تمثل مختلف مراحله الفنية. اما اللوحات التي تُعرض حالياً، فهي تمثل آخر نتاجه، ولم يسبق للجمهور اللبناني ان رآها من قبل.

والجدير بالذكر، ان هناك معرفة قديمة بين الفنان الراحل و«غاليري ألوان»، وهناك مراسلات كثيرة بينهما، يعبّر فريد عواد من خلالها عن صعوبة هذه المهنة، وعن معاناته الكبيرة في هذا المجال، ومدى طموحه نحو الافضل.

في سنة ١٩٧٢، كتب فريد عواد الى أوديل وسمير اندراوس: «بالنسبة اليّ، من الصعوبة بمكان الانتهاء من العمل في لوحة فنية... وعلى الرغم من مرور ٢٠ او ٢٥ سنة في هذه المهنة، فان ذلك بمثابة السر الدائم. وتكمن الصعوبة في كوني لم استنفد جميع الوسائل لديّ».

وفي سنة ١٩٧٣، كتب يقول: «ان النشاط الفني في الرسم يتقدم ولكن ببطء شديد. ان العمل يستنفد طاقاتي الفكرية ومواهبي، ويضعني في مواجهة مواقف وتجارب يصعب حلها ومواجهتها، ولكنني اتمسك بقدرتي، محاولاً بذل كل ما أملك من طاقات في مواجهة ذلك».

وفي ما بعد كتب يقول: «ان التقدم يحتاج الى مزيد من الجهد والوقت والصبر، للوصول الى تحقيق نتيجة واعدة».

وكتب في سنة ١٩٧٧: «لقد كان انتاجي قليلاً جداً هذه السنة: ان هذا النضال والكفاح بواسطة الرسم كمن يبحث عن شيء هارب».

وفي سنة ١٩٧٩، كتب يقول: «البرد شديد، انها تعصف وتمطر. وليس من السهل العمل في مثل هذا الوضع. ومع ذلك، احاول دائماً ابتكار موضوعات جديدة وغنية».

وتقول زوجته عن «قدره في الانصراف الكلي الى الرسم بجدّ وصرامة نادرين ومنهكين في الوقت نفسه، لانه ليس بالسهولة التي نتصور ان الاشياء تنقاد اليه».

انطلاقاً من ذلك كله، يقول جوزف طرّاب، في الكاتالوغ الخاص الذي اصدرته «غاليري الوان» في المقالة التي كتبها باللغة الفرنسية بعنوان «النضال بواسطة الرسم»، من البداية حتى النهاية، هناك لازمة واحدة تتكرر بالحاح

وهي: صعوبة الرسم. انها صعوبة لا يتلقاها بل يتحملها ويحياها، ويضطلع بها كأحد المتطلبات الداخلية الملحة، وتدفع الى الزهد، وقهر الذات وصولاً الى نوع من الكمال، انها باختصار الطريق الحقيقية للعمل والبحث والابتكار.

انه ليس فناناً مبتدئاً بدون خبرة ولا مهارة، بل هو معلّم يملك ناصية فن الرسم وواثق من امكانياته، ويطبّق ما يعلن من نظريات. وهو القائل: «انا مقل في الانتاج بسبب طبعي الشخصي ومزاجي. ان مفهومي لفن الرسم يزيد من الصرامة التي أملك الى حد يدفعني على الدوام الى إتلاف عملي لصوغه من جديد ومعالجة اللوحة ذاتها على مدى فترة طويلة جداً».

فريد عواد يرفض كل انواع المجاملات في ما يتعلق بالفن ومستوى اصالته. كما انه مسكون بالحاجة الدائمة الى مزيد من الاتقان والدقة، وهو لذلك يمزق اللوحة التي أنجزها مساءً، ليعيد في اليوم التالي، رسمها من جديد، الى ان يرضى عنها من خلال توقها نحو الكمال.

ونادراً ما يصرّح عواد بان لوحته اصبحت ناجزة ومؤهلة للتوقيع عليها. ان اللوحة التي أمامه لم تأتِ متطابقة تماماً للأفكار والرؤى التي اراد التعبير عنها، وهو لذلك يعتبرها برسم العمل الدائم الذي لا ينتهي. والعمل الفني الاصيل، حسب قناعته، انه وليد الجهد الدؤوب ويحتاج الى وقت طويل ودقة واتقان بالغين ليكسب رضاه.

ان الوحدة والعزلة هما نتيجةٌ طبيعية وضرورية لخوض غمار هذه الاعمال الفنية المضنية وصولاً الى اللوحة المثالية التي يجدها عواد هاربة دائماً.

ويؤكد جوزف طرّاب، ان فريد عواد يعبّر برسمه عن وحدته من خلال تصوير وحدة وعزلة الأخرين المتمثلين في زبائن البارات ورواد المقاهي ومسافري المترو ومجموعة الصيادين الذين يلقون شباكهم في البحر. هناك محطات وأرصفة تحت الارض، وأخرى في الهواء الطلق... كلها يمكن ان تكون موضوعات لوحات لأنها اشبه بالنوافذ المطلة على صميم الحياة والحركة البشرية الدائمة، كما تعبّر عن البطالة والفراغ والانتظار...

ومفهوم الصعوبة الفنية والبطء في انجاز العمل الابداعي والصرامة والجدية والميل الى تلف اللوحة لرسمها من جديد، والاصرار والعناد، والتواضع والبساطة، هذه كلها، يمكننا ان نستشفها من لوحات فريد عواد الفنية في «صراعه مع الرسم واللون بحثاً عن اشياء لا تزال هاربة». انها محاولة رفض ونقض للرسم التعبيري السهل وصولاً الى انجاز اعمال حقيقية مبدعة وعلى درجة عالية من الاتقان الفني.

وفي الكاتالوغ الانيق نفسه، الذي ضم بعض اللوحات المعروضة، كتبت مي منسى مقالة بعنوان «فريد عواد: الانسانية المطوّقة بالغربة»، حيث دلّ هذا الفنان باللون الأصم والريشة المعروكة في عصب المشاعر الحادة، على الانسانية المطوّقة بالفقر، برتابة الحياة، وتكرار الايام، الانسانية الهائمة على ايقاع الخطوة الواحدة، على ايقاع النفس الواحد، الضائعة في مجهول الآتي.

محطة باريسية

الصيادون

واذا الفن هو وجه من وجوه الفنان وتعبير عن حياته، يكون فريد عواد - حسب قول مي منسى - من الذين عبّروا عن وجودهم بوسائل جمالية تهدف الى تحسس وعي الفنان وإدراك معانيه. ولعله في ابتعاده عن بعض النظريات الجمالية القائمة على تغيير طبيعة الاشياء بغية الحصول على الانفعالات الاقوى، وتشويه واقع بصري مع اجل مؤثرات عاطفية اكبر، تمكّن من سبر شريان الحياة واستثمار كنوزها الظاهرة والباطنية محتفظاً بتلك الحرية الجارحة وذلك الولع العارم في معالجة لوحته...

هذا الفنان المركّز إدراكه الفني والانساني في اتجاه محطات المترو والمقاهي، والشوارع المكتظة بالبشر، كان وحدوياً بين الناس، منغلقاً في الاماكن العامة، بارزاً في لوحته، اذ سرعان ما تدل عليه الاصابع في دكنة اللون وبين عشرات الشاردين مثله، رغم ذوبانه فيهم او إنمحائه في ملامحهم.

عندما نقارن مسار فريد عواد بفنانين من رعيله، نلمس الفرق الشاسع بين واقعيته الانسانية واختباراتهم - آنذاك - والتي جعلتهم يتخلون عن الموضوع لصالح التأليف التجريدي.

طوال اقامته في قلب الحركة التغييرية في فرنسا لم يقطع صلته بالحياة الإنسانية المحيطة به المطوقة بالفقر ورتابة الحياة والضائعة في مجهول الآتي

طوال إقامته في قلب الحركة التعبيرية في فرنسا، لم يقطع الصلة مع الحياة المحيطة به ولا مع موضوعه، مستذوقاً بلا ريب ايقاع الحياة هذه ونبضها الدرامي، مقتطعاً من منجمه الانساني المليء بالاسرار والاحزان والحرمان ما يكمل مشهد الشارع، ومحطات القطار، وتلك الوجوه الفارغة العيون، المتباطئة في اتجاهاتها، الشاحبة في عافيتها. لذا، الشعور المنبعث من لوحته حاد، حيوي، متوتر، شخصاني، لانه خرج من المشهد اللطيف، والطبيعة الخلابة، والدغدغات البصرية، ولم يماش الاختبارات الحديثة وحركاتها، ليسير برسالته الانسانية وغربته في اتجاه الحياة الحديثة.

فريد عواد، أحب المدينة وولع بالاماكن المرصودة للتجمعات. أحب مزاج الحياة اليومية والحشود المتكتلة فيها، حينما اسلافه ألوا الى البرية والقرية والبحيرات والمراكب، يقطفون منها وحياً. بوجدانه المجتمعي سنّ ريشته على تعابير الناس المنطفئة، واطارهم الكئيب، حتى أضحى ترجمان المدينة، والمتكلم باسم انسانها والمتسامي برتابة عيشه الى مصاف الحدث الطقوسي.

وكما تقول مي منسى، الموضوع في كلمته الاخيرة، يوحي بالمرارة والكآبة رغم نهج الفنان المعبّر عن حبه العارم للانسانية.

برؤى الرسام الواقعي كتب فريد عواد قصيدته. من سواد ايامه استخلص شحتاراً، ومن أندابه النازفة ثفلاً معتقاً، وبهما صنع لوحته ■

اسكندر داغر